تَرْجُمَانُ القُرْآنِ

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

تأليف الدكتور

عبد القادر محمّد الحسين

كلية الشريعة - جامعة دمشق



دار الغوثاني للدراسات القرآنية

دِمشق - سُورِيَة

ترجمان القرآن

عبد الله بن عباس

رضي الله عنهما

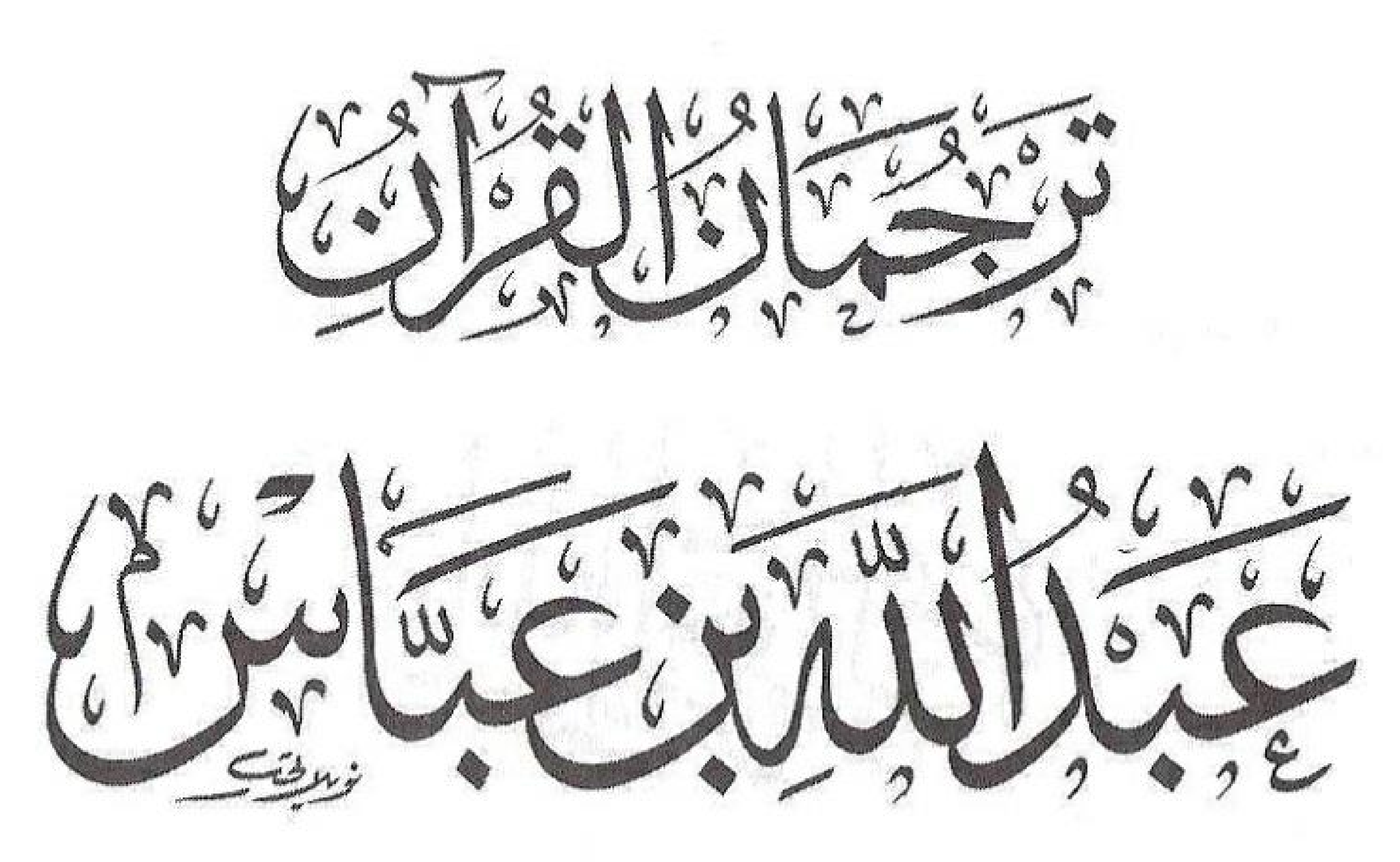
الموضوع : القرآن وعلومه
العنوان : ترجمان القرآن
تأليف : د. عبد القادر محمد الحسين
عدد الصفحات : ٥٦
قياس الصفحات : ١٤× ٢٠
الرقم التسلسلي : ٦٧

الوكلاء
سورية - حلب - دار نور الهداية هاتف : ٣٢٣٧٣٠٠ ٠٢١
الأردن - عمان - دار الفاروق هاتف : ٠٠٩٦٢ ٦٤٦٤٠٠٦٤
لبنان - بيروت - دار البشائر الإسلامية هاتف : ٠٠٩٦١١٧٠٢٨٥٧
الإمارات - دبي/الشارقة - مكتبة البيروني هاتف : ٠٠٩٧١٥٠٦٥١٧٠٩٧
السعودية - الرياض - أيمن عوض هاتف : ٠٠٩٦٦٥٦٩٨٠١٩٩٤
مصر - القاهرة - دار السلام هاتف : ٠٢٠٢ ٢٧٤١٥٧٨
الجزائر - العاصمة - دار الوعي هاتف : ٠٠٢١٣٥٤٥١٠١٤
الكويت - العاصمة - بيت المقدس هاتف : ٠٠٩٦٥ ٢٦١٠٢٧٠



دار الغوثاني للدراسات القرآنية
دمشق : حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١+) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨
البريد الالكتروني: algawthani@scs-net.org

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

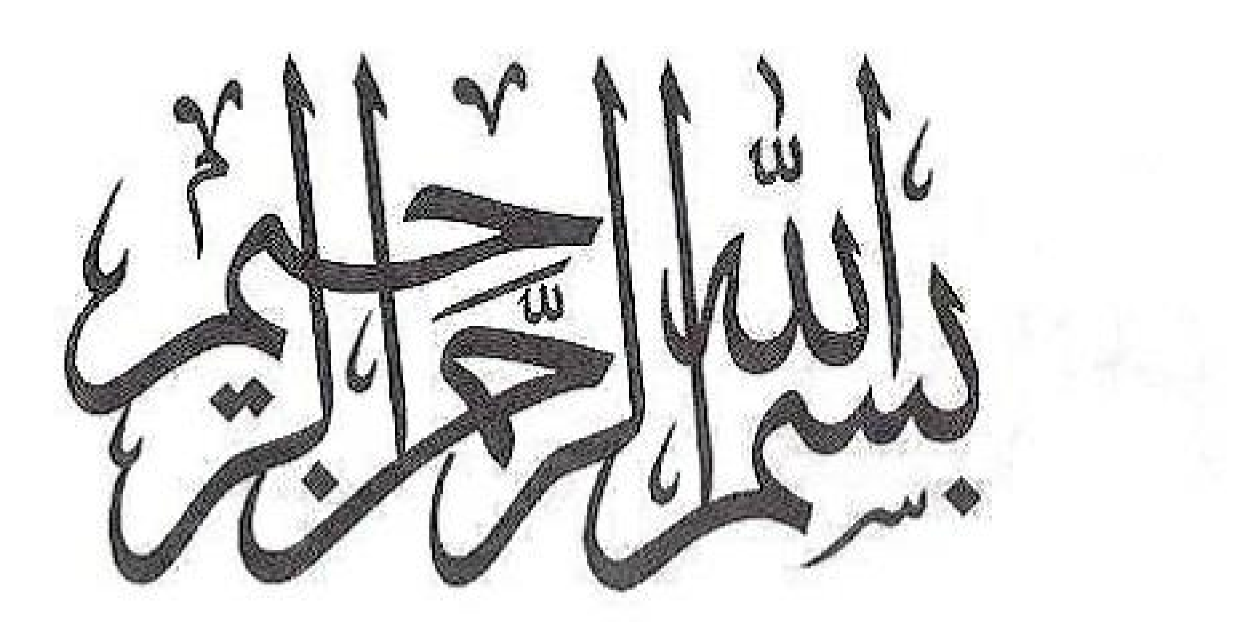


رضي الله عنهما

تأليف الدكتور

عبد القادر محمد الحسين

كلية الشريعة - جامعة دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وألحقنا بعبادك الصالحين..

أشارت إلي دار الغوثاني للدراسات القرآنية مشكورة أن أكتب رسالة إلى طلاب القرآن وإلى مربيهم عن طريق عرض لسير أعلام المفسرين وعلماء القرآن العظيم ليكون ذلك معينا لطالب علم القرآن على تلمس آثار السلف الصالح والاقتداء بمناهجهم والسير على منوالهم؛ ذلك لأن المثال الحي والقدوة الصالحة أكثر تأثيرا في القلب من مجرد الموعظة فالإنسان ملول بطبعه، والقرآن العظيم قد عرض لنا صورا جميلة لقصص السابقين من أنبياء وأولياء وصالحين وأمرنا بالعبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف ١١١] وما العبرة إلا أن نتخذ تلك القصص جسرا نعبر به إلى أحوالهم ونستفيد منهم.

وقد بادرت إلى ذلك من غير تردد رغم كثرة أشغالي؛ ذلك لأني لمست الصدق من الإخوة القائمين على الدار، وعرفت فيهم الحرقة على القرآن وأهل القرآن، (في زمان تغلب فيه المادة والأهداف الدنيوية الدنية، ففي الوقت الذي ترفع فيه كثير من الدور شعار الفكر أو العلم نجد المحرك الأول لها هو المال وما الفكر أو العلم إلا شعار يوهم الناس، وما هو إلا ذريعة لتحصيل عرض من الدنيا...).

هذه الدار المباركة قائمة على أسس علمية فجميع القائمين عليها على حد علمي من أهل الاختصاص، كما أن لهذه الدار ـ كما لاحظت ـ أهدافا نبيلة تتمثل في نشر الوعي القرآني في أقطار الأرض.

لذلك كله بادرت إلى الكتابة في هذا الموضوع مبتدئا بحبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهو وإن كان مقدما لدى سائر الأمة وهذا سبب عام يدعو للكتابة عنه فإن لي سببا خاصا يدعوني للكتابة عنه، وذلك أني رأيت قبل سنوات عديدة حين كنت لا أزال أطلب العلم في الجامع الأزهر الشريف رأيت في المنام أن ظروفا بريدية وصلت إلي وعليها توقيع يحمل اسم مرسلها: عبد الله بن عباس فاستبشرت

خيرا بتلك الرؤية ولكني نسيتها زمانا طويلا ، ولما هممت بالكتابة عن المفسرين عادت إلى الذاكرة . . نسأل الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بابن عباس وسائر أصحاب رسول الله ﷺ .

منهج البحث:

سرت في هذا الكتيب على طريقة متوسطة لا أتوغل في القضايا العلمية والأكاديمية غالبا ، وأحاول تبسيط اللغة ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، دون إخلال بالمضمون ، وذلك حتى تستفيد أكبر شريحة ممكنة من هذا المبحث اللطيف .

وقد ركزت على الجوانب السلوكية والتربوية في حياة ابن عباس رضي الله عنهما حتى يستفيد طالب العلم من ذلك ، ولا سيما تعظيم العلم والعلماء والصبر على الشدة أثناء تحصيله .

أما بالنسبة للعزو إلى المصادر والمراجع فلم أتوسع في ذلك إلا بقدر الضرورة ؛ وذلك لأن مصادر البحث محصورة ذكرتها في قائمة آخر الكتاب لمن أراد التوثيق أو الاستزادة ، وحتى لا أثقل حواشي البحث بأمور قد تعيق القارئ المبتدئ وتقطع تسلسل أفكاره .

كما حاولت أن أبسّط بعض العبارات ولاسيما في القصص

التي ورد ذكرها وأذكرها بأسلوب عصري يمكن للقارئ أن يفهمها دون عناء، ولم أخض فيما حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من شجار في مسائل اجتهادية، حرصا على صفاء ذهن القارئ من الكدر.

وختاما أسأل المولى العزيز أن ينفعنا بما أفاض علينا من نعم وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وحسن الختام عند انتهاء الأجل.

د. عبد القادر محمد الحسين

ترجمان القرآن

اسمه ونسبه

هو الإمام الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ ، يكنى بأبي العباس ، أمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ، وهو ابن خالة خالد بن الوليد رضي الله عنهم أجمعين ، حَبرُ الأمة وربانيُّها إمامُ أهل التفسير بلا منازع.

ولادته

كانت ولادته بعد بعثة رسول الله ﷺ وقبل الهجرة النبوية بثلاث سنوات ، في أشد السنوات محنة على رسول الله ﷺ في حصار الشعب حيث فرض عتاة الكفر من أهل مكة وقتئذ على سيدنا رسول الله وعلى آل بيته حصارا اقتصاديا عنيفا منعوا عنهم الغذاء وسائر المعونات... في تلك الأيام العصيبة ولد ابن عباس فكان من أوائل ما دخل جوفه ريق سيدنا رسول الله ﷺ وأعظم بها من منحة وكرامة حيث أُتي بذلك المولود المبارك إلى سيد الخلق فحنكه بريقه الشريف ، ولعل ذلك

الفتح المبين الذي فتح الله به على هذا المولود المبارك كان ببركة ريق سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه.

أسلم وبايع رسول الله ﷺ منذ نعومة أظفاره، قبل بلوغ الحلم، وهاجر إلى المدينة النبوية قبل فتح مكة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة.

وصفه

كان وسيما جميلا مديد القامة طويلا، مهيبا كامل العقل، ذكي النفس من رجال الكمال، أبيض الوجه مشربا صفرة، ممتلئ الجسم، وسيما صبيح الوجه، له شعر وفير يخضبه بالحناء، قال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس.

وكان رضي الله عنه يكثر التطيب والتعطر حتى إذا مر في الطريق قالت النساء على الحيطان: أمرّ المسك أم مرّ ابن عباس؟! وهذا مظهر من مظاهر الجمال والنظافة التي يحبها الله ورسوله ﷺ، وفي ذلك إظهار لنعمة الله تعالى على عبده، وهو في الوقت ذاته مظهر من مظاهر العزة الإسلامية.

قربه من رسول الله ﷺ

كان ابن عباس شديد الملازمة لسيدنا رسول الله مصدر النور ومهبط الوحي الإلهي، فقد توفر لابن عباس ما لم يتوفر لغيره من الأمة المحمدية؛ فهو ابن عم رسول الله ﷺ كما أسلفنا، وأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ خالته، وكان رسول الله ﷺ يقربه منه؛ بل يضجعه معه قريبا منه على نفس الفراش لدرجة أن سيدَ الخلق وَأَهْلَهُ كان يضطجع فِي طُولِ الوسادة وابْنُ عَبَّاسٍ يضطجع فِي عرضها، وأي قرب أعظم من هذا!وأي شرف أرفع!

وقد روي عنه أنه قال: (نحن أهل البيت شجرة النبوة، ومختلف الملائكة، وأهل بيت الرسالة، وأهل بيت الرحمة، ومعدن العلم).

شيوخه

شيخه الأول رسولُ الله سيدُ الخلق ﷺ، أخذ عنه العلم نحوا من ثلاثين شهرا ثم أتم علومه على كبار علماء الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين فمنهم عمر وعلي ومعاذ ووالده العباس وعبد الرحمن بن عوف وأبو سفيان صخر بن حرب وأبو ذر وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وقرأ على أبيّ وزيد.

تلاميذه

كان ابن عباس رضي الله عنه مدرسة عليا تخرج منها الكثير من العلماء، أخذ عنه العلم قريب من مائتي شخص، فقد قرأ عليه مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم، كما روى عنه ابنه علي وابن أخيه عبد الله بن معبد ومواليه عكرمة ومقسم وكريب وأبو معبد نافذ، وأنس بن مالك وأبو الطفيل وأبو أمامة بن سهل وأخوه كثير بن العباس وعروة بن الزبير، وطاووس وأبو الشعثاء وعلي ابن الحسين وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر والقاسم بن محمد وأبو صالح السمان وأبو رجاء العطاردي وأبو العالية، وعطاء بن يسار، وعطاء بن أبي رباح وعامر الشعبي والحسن البصري ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب القرظي وابن أبي مليكة والضحاك بن مزاحم وإسماعيل السدي وخلق سواهم.

البيئة التي عاش فيها

من أهم المؤثرات في شخصية الإنسان العلمية والفكرية البيئة التي يعيش فيها، فهي تترك آثارها في حياة الإنسان وتلون تلك الحياة بصبغتها، فما هي تلك البيئة التي عاش فيها إمامنا الجليل رضي الله عنه؟

إن ابن عباس رضي الله عنه عاش طفولته الأولى في أحضان سيد

الخلق ﷺ فولادته أيام حصار الشعب في أوج أزمة سيدنا رسول الله ﷺ مع قريش، وكذلك نشأ هذا الطفل في أسرة عريقة في مكارم الأخلاق كانوا سادة الناس في الجاهلية وفيهم ومن بين ظهرانيهم ظهر الإسلام ففاز من آمن به بسعادة الدارين...وقد مشى هذا الصبي خطواته الأولى في أم القرى حيث يقصد الناس تلك البقعة من كل حدب وصوب، وفيها تلقى كلماته الأولى واستقام لسانه على لسان قريش أفصح الناس لغة، وبلسانهم نزل القرآن...وهو الذي يقول لأمير المؤمنين علي حين خرج الخوارج بأفهام منحرفة للقرآن: أنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل!

وقريبا من مكة كانت تعقد المواسم الأدبية يتداول فيها الشعراء أحسن ما جادت به قرائحم.

وكذلك كانت قريش في الجاهلية تعرف كثيرا من مكارم الأخلاق كالكرم والوفاء وحسن الجوار..تلك المكارم التي جاء رسول الله ﷺ ليتممها، فهذه هي البيئة الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها ابن عباس، وما أن اشتد عوده قليلا حتى هاجر إلى المدينة المنورة حاضرة الإسلام الأولى ومُهاجَر رسول الله ﷺ تلك البيئة التي صنعها رسول الله ﷺ بيده، وأسس فيها أركان الإسلام وعلّم أولئك الأميين الكتاب والحكمة، وأفاض

عليهم جوا من الوئام والحب والإخاء، فكان مجتمعا مثاليا ما عرفت الدنيا له مثيلا.. هذه البيئة الثانية سنجد بعد قليل أنها كانت المدرسة العلمية الأهم في حياة ابن عباس، فقد صاحب رسول الله ﷺ قريبا من ثلاثين شهرا ولما لحق الرسول بالرفيق الأعلى، أتم ابن عباس علومه على العلماء من المهاجرين والأنصار الذين أهَّلَهم بسائر العلوم النافعة لهم رسولُ الله ﷺ.

سعة علومه

أجمع علماء السير على أن ابن عباس كان إماما عظيما متبحرا في سائر العلوم التي كانت منتشرة في عصره فقد كان يسمى البحر لسعة علومه، ويسمى الحبر أيضا كان عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه وهو من أئمة التابعين دائما ما يقول: قال البحر وفعل البحر يعني ابن عباس رضي الله عنه، وكان عطاء أيضا يقول: (كان ناس يأتون ابن عباس للشعر وناس للأنساب وناس لأيام العرب ووقائعها، فما منهم من صنف إلا يقبل عليه بما شاء..).

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه قال: كان بن عباس قد فات الناس - أي سبقهم - بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، وما رأيت أحدا كان أعلم

بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلمَ بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقهَ في رأي منه، ولا أعلمَ بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن، ولا بحساب، ولا بفريضة منه، ولا أعلمَ بما مضى، ولا أثقف رأيا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل - أي تفسير القرآن - ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب، وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما).

وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: (ابن عباس أعلم الناس) يعني الناس الذين كانوا أيام سعيد بن المسيب.

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: (سمعت أبي يقول ما رأيت أحدا أحضر فهما ولا ألب لبا ولا أكثر علما ولا أوسع حلما من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات - أي المسائل الصعبة - ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا نجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: دخلت على عمر بن الخطاب يوما فسألني عن مسألة كتب إليه بها يعلى بن أمية من اليمن وأجبته فيها فقال عمر: أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها نظرت إلى ابن عباس ومعه الحلق ليالي الحج وهو يسأل عن المناسك، فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك.

وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول: أعلمنا ابن عباس.

وقال جابر بن عبد الله ﵁ حين بلغه موت ابن عباس وصفق بإحدى يديه على الأخرى: مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق ـ أي لا تنجبر.

ولما مات ابن عباس قال رافع بن خديج ﵁: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

وقال عبد الله بن مسعود ﵁ له: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس).

وقيل لطاووس: لزمت هذا الغلام ـ يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: إني رأيت سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارؤوا ـ أي اختلفوا ـ في شيء صاروا إلى قول ابن عباس.

عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيشير مع أهل بدر وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات.

هذه إذن أقوال الصحابة الكرام حيث شهدوا له بالتقدم عليهم واعترفوا له بحيازة قصب السبق، بل كان مرجعهم عند الاختلاف، وكذلك علماء التابعين تتلمذوا على ذلك الإمام الجليل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، فكيف حصّل على هذه المرتبة العليا والتقدم في سائر العلوم؟حتى نستفيد ويستفيد طالب العلم ويسلك نفس الطريق ما تيسر السبيل إلى ذلك.

مكونات شخصية ترجمان القرآن وكيف تلقى العلم؟

نحاول هنا أن نلقي الضوء على بعض المراحل وبعض المعالم من حياة هذا الإمام العظيم، ونتلمس آثار تلك المراحل بعد أن نضجت علومه وصار إماما متبعا، ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

أولا ـ بركة سيدنا رسول الله، ودعاء النبي ﷺ له:

أسلفنا أن ذلك العالم الجليل كان قريبا ومقربا من سيدنا رسول الله ﷺ فمن أول ما دخل جوفه ريق سيد الخلق وبركة العالمين، وهذه منحة مضت وانقضت، لم يكن لابن عباس دخل في تحصيلها، فما هو الجانب الكسبي الذي فعله بإرادته وكان داخلا في قدرته؟

كان هذا الفتى حريصا على إرضاء قلب رسول الله ﷺ ويسعى لتحقيق حاجة رسول الله ﷺ دون أن يطلب ذلك منه رسول الله ﷺ ، فها هو يعد الماء لرسول الله ﷺ ليتوضأ منه سيد الخلق في صلاة قيام الليل ، فيفرح به النبي ﷺ فيدعو لذلك الشاب مكافئة له على صنيعه ، فعن ابن عباس قال دخل رسول الله ﷺ فإذا تور مغطى - نوع من الآنية - قال من صنع هذا؟ فقلت: أنا ، فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه تأويل القران.[(١)]

فإرضاء قلب رسول الله من أعظم القربات عند الله ، وهذا لا يختص بابن عباس ولا يختص بحياة رسول الله ﷺ ؛ فكل من يسعى ويتلمس رضا رسول الله باتباع سنته وفعل ما يرضيه يكون قريبا من الله تعالى ومن رسوله ، ويكون متعرضا لأسباب فتح الله المبين.

إذن كان ذلك الشاب حريصا على إرضاء رسول الله حتى دعا له رسول الله أكثر من مرة فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة ، وقال: دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرتين ، وقال أيضا: رأيت جبريل صلوات الله عليه مرتين ودعا لي رسول الله ﷺ مرتين.[(٢)]

---

(١) - أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك ، ٣/٦١٨.

(٢) - الطبقات الكبرى ، ٢/٣٧٠.

ثانيا ـ أدب ابن عباس رضي الله عنه مع أهل العلم:

والأمر الآخر المهم في حياة ابن عباس هو الأدب الرفيع في التعامل مع العلماء والمعلمين، ابتداء من سيد الخلق المعلم الأول صلى الله عليه وسلم وانتهاء بكل من تلقى عنه العلم، نجد هذا الجانب واضحا عند ابن عباس.

فعنه رضي الله عنه أنه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إلى سقاء فتوضأ وشرب قائما قلت: والله لأفعلن كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقمت وتوضأت وشربت قائما، ثم صففت خلفه فأشار إلي لأوازي به أقوم عن يمينه فأبيت، فلما قضى صلاته قال: ما منعك أن لا تكون وازيت بي؟! قلت يا رسول الله أنت أجل في عيني وأعز من أن أوازي بك! فقال: اللهم آته الحكمة.[1]

ومن جملة إرضائه لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء مع أهل ودّه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وذلك أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه أتى معاوية رضي الله عنه فشكا دينا فلم ير منه ما يحب، فقدم البصرة فنزل على ابن عباس رضي الله عنه ففرغ له بيته وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: كم دينك؟ قال عشرون ألفا، فأعطاه أربعين ألفا وعشرين مملوكا وكل ما في البيت.[2]

---

(١) ـ حلية الأولياء، ١/٣١٥.

(٢) ـ أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك، ٣/٥٢٠.

وذلك لأن أبا أيوب رضي الله عنه أنزل رسول الله ﷺ في بيته أول ما وصل المدينة مهاجرا، فأكرم نزله وفرغ له بيته، رضي الله عنهم أجمعين.

إذن كان هذا تعامله مع المعلم الأول رسول الله ﷺ يتأسى به ويتبعه في الحركات والسكنات، ولكنه حينما أشار إليه بالتقدم وموازاة النبي ﷺ أبى إلا أن يقدم الأدب على الامتثال تعظيما لرسول الله واتباعا لأمر الله تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح ٩] ولا يكتفي بهذا القدر، بل يتلمس رضا قلبه الشريف بعد وفاته بإكرام أهل وده ورد الجميل لهم.

ولكن قد يقول قائل: إن هذا الاحترام العظيم والتبجيل إنما هو لمكانة رسول الله العظمى، ولأن الله تعالى أمر بتعظيمه وتوقيره واحترامه احتراما زائدا متميزا، فنقول إن هذا الكلام صحيح لا غبار عليه، وتعظيم النبي واحترامه واجب على كل مسلم... ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن نتوقف عن احترام العلماء والمعلمين.

فالعلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وتعظيمهم وتوقيرهم تابع لتعظيم النبي ﷺ؛ إذ هم ورثته.

ولننظر كيف كان ابن عباس يحترم أهل العلم أثناء طلبه للعلم؟

قال ابن عباس: كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقيل على بابه ولو علم بمكاني لأحب أن يُوقَظ ولكني أكره أن أملّه - أي أدخل عليه الملل.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار إن كنت لآتي الرجل منهم، فيقال: هو نائم - فلو شئت أن يوقظ لي - فأدعه حتى يخرج لأستطيب بذلك قلبه.

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟! قال فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه، وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي التراب، فيخرج فيراني فيقول لي يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟! فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن

الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني.

أأبيت سهران الدجى وتبيته ... نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي؟!

إذن فقد كان ﵁ وقت القيلولة في شدة حر الحجاز يقف على أبواب العلماء يعاني ما الله به عليم من حر شديد ورياح حارة مؤذية تحمل التراب والغبار، ولا يرضى أن يزعج العالم أو يوقظه احتراما وأدبا وتعظيما لأهل العلم، وقد كان العلماء وأصحاب رسول الله ﷺ لا ينزعجون منه؛ بل يفرحون إذا أيقظهم، بل يأتون إليه سعيا على مآقي العيون؛ حبا منهم لرسول الله وآل بيته، ولكنه ﵁ يأبى إلا أن يتأدب بآداب طالب العلم، ويتقرب إلى الله بالوقوف على أبواب العلماء والصالحين، فهذا دأبه في الأدب مع العلماء والترفق والتلطف في التعامل معهم.

ومن أدبه ﵁ مع أهل العلم أن زيد بن ثابت ﵁ ركب يوما فأخذ ابن عباس بركابه - احتراما له - فقال تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رآه ﷺ.[1]

---

(١) - الإصابة، ٤/١٤٦.

وقد كان رضي الله عنه يعرف لأهل العلم حقهم وفضلهم كما رأينا في احترامه وتوقيره لزيد رضي الله عنه ولا يبخس أهل العلم حقهم، ويحيل إليهم طلاب العلم، ولا يغتر بثنائهم عليه وإن كان مقدما عليهم في العلم، فعن عكرمة قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ابن عباس أعلمنا بما مضى وأفقهنا فيما نزل مما لم يأت فيه شيء، قال عكرمة: فأخبرت ابن عباس بقوله فقال: إن عنده لعلما، ولقد كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلال والحرام.

فهكذا إذن كان أدب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحترامهم وتوقيرهم لأهل العلم، وهذا سبب قوي من أسباب فتح الله تعالى على طالب العلم الشريف.

هذه كانت آداب علماء السلف التي كان يوصي بعضهم بعضا بها فعن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما قال: سمعت السلف يقولون: من لا يعرف لأستاذه لا يفلح ويتحرى رضاه ويحذر سخطه.

ثالثا ـ حرصه على طلب العلم

العلم الشريف يحتاج إلى اهتمام عظيم وتفرغ لتحصيل أسبابه، وكما قال سلفنا الصالح: العلم إذا أعطيته كلك أعطاك

بعضه، وكلما كان الطالب دؤوبا على التحصيل متحملا لمشاق الطلب كان أقدر على التمكن من العلم وأكثر استفادة، وكما قيل: **من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة.**

وقد رأينا حبر الأمة وترجمان القرآن كيف يقف على أبواب العلماء متحملا شدة الجو صابرا على شدائد تحصيل العلم متقربا إلى الله تعالى بذلك، وها هو ينقب ويبحث بهمة لا تعرف الكلل ولا التعب ولا الملل، ويتأكد ويقارن ويستوثق عن الأمر الواحد مرات عديدة، كما ثبت عنه فهو ﵁ يقول: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ!

ولا يكتفي بمجرد الحفظ والذاكرة بل يتلقف أخبار النبي ﷺ وأفعاله فيدون ذلك، ليكون حاضرا لديه وقت الحاجة فالعلم صيد والكتابة قيد.

عن عبيد الله بن علي عن جدته سلمى أنها قالت: رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئا من فعل رسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس ﵁ أنه قال: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك وكنت لا آتي أحدا

منهم إلا سرّ بإتيـاني لقربـي مـن رسـول الله ﷺ فجعلـت أسـأل أبي بن كعب يوما وكان من الراسخين في العلـم عمـا نـزل مـن القرآن بالمدينة فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة.

فالجد المتواصل وكثرة السؤال والشغف بطلـب العلـم مـن أهم الوسائل لتحصيله وقد كان سيدنا عمر يقرب ابـن عبـاس كثيرا ويقدمه على كبار السن وعلى شيوخ الصحابة، فدرجـة العلم فوق درجة السن، وقد تعـارف أهـل الإسـلام مـن عصـور قديمة على تسمية العـالم بالشيخ وإن كـان شـابا، ومـا ذاك إلا لأن العلم كبير يكبر بصاحبه ويقدمه على كبار السن، فقـد قـال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عبـاس، قـال: ذاكم فتى الكهول إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا.

كـذلك سـار الأولـون فـأدركوا على إثرهم فليسر من كان تـابع

رابعا ـ تقوى الله تعالى وخشيته

إن هذا العلم إخبار عن الله وتوقيع عنه، وهـو مقـام عظيم والزلل فيه خطير، ولا بد لطالب هذا النوع من العلم أن يستقيم علـى شـرع الله ويستحـضر عظمـة الخـالق ﷻ، وهنـاك علاقـة جدلية ما بين فتح الله تعالى على طالـب العلـم وبيـن تقـوى الله تعالى، فإذا ما اتقى الله وخـشيه فتح عليـه وعلمـه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٨٢] ، وكلما ازداد علما ازداد خشية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر ٢٨].

فكيف كانت خشية ابن عباس رضي الله عنه لربه سبحانه وتعالى؟

كان رضي الله عنه شديد التعظيم لربه سبحانه وتعالى فعن طاووس قال: ما رأيت أحدا أشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس، وهذه شهادة عظيمة من عالم عظيم من علماء التابعين.

وهذه شهادة أخرى لإمام جليل آخر من أئمة التابعين صحب ابن عباس في الحضر والسفر، ذلك الإمام هو ابن أبي مليكة يقول: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القران حرفا حرفا ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب.

وعن أبي رجاء وهو أيضا من أئمة التابعين قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

فالرجل كان ممن يبيتون لربهم سجدا وقياما باكيا ضارعا إلى ربه سبحانه وتعالى، هذه صلاته وهذا قيامه.

فماذا عن الصوم وعن حبس النفس عن شهواتها المباحة تقربا إلى الله تعالى واستعدادا ليوم العطش الأكبر؟

قال سعيد بن أبي سعيد: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: يا ابن عباس: كيف صومك؟قال أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟قال: لأن الأعمال ترفع فيهما فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم.

وها هو ﵁ يدعو الناس لمراقبة الله ﷻ ويحذّر صاحب الذنب من أن يجعل الله تعالى أهون الناظرين إليه فيقول: (يا صاحب الذنب لا تأمنن من سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته؛ فان قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذي عملته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته..).[1]

وقد بلغ من مراقبته لله ﷻ أنه كان يستحي من بعض المباحات فعن عكرمة عن ابن عباس ﵁ أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق يقول: إني أستحي الله أن يراني في الحمام متجردا.

---

(١) ـ حلية الأولياء، ١/٣٢٤.

هذه عبادته وهذا تقربه إلى الله عز وجل قيام وصيام خشوع وبكاء، ودعوة لأصحاب الذنوب إلى مراقبة الحق جل وعلا، أما حفظه لجوارحه عن معصية الله فقد ورد عنه في ذلك أنه أخذ بثمرة لسانه - أي بطرفه - وهو يقول: ويحك قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم، فقال له رجل يا ابن عباس مالي أراك آخذا بثمرة لسانك تقول كذا؟قال: إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه على لسانه.

وها هو رضي الله عنه يصف أولياء الله تعالى وتعظيمهم له ورهبتهم وخشيتهم مقام الجليل سبحانه وتعالى فيقول: (أو ما علمتم أن لله تعالى عبادا أصمتتهم خشيته من غير بكم ولا عي، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله عز وجل غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله عز وجل طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع المفرطين وإنهم لأكياس أقوياء، ومع الظالمين والخطائين وإنهم لأبرار برءاء إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلون عليه بالأعمال هم حيثما لقيتهم مهتمون ومشفقون وجلون خائفون). [1]

---

(١) - حلية الأولياء، ١/٣٢٥.

خامسا ـ التربية الصحيحة

لقد تربى ابن عباس رضي الله عنه في أعظم مدرسة عرفتها الإنسانية ألا وهي مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربى فيها خير الرجال على خير الخصال، عودهم على مراقبة الله تعالى في السر والعلن فها هو صلى الله عليه وسلم يلقى إلى ذلك الطفل اليافع مبادئ التعامل مع الله سبحانه وتعالى، ويتلقى ذلك الطفل تلك المبادئ ويتشربها منذ نعومة أظفاره متخذا إياها دستور حياة، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟فقلت: بلى، فقال: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.[1]

كانت تلك الكلمات التي نقشها رسول الله في ذاكرة ذلك

---

(١) ـ أخرجه الإمام أحمد، ١/٣٠٧.

الغلام التلميذ في المدرسة النبوية، ولا شك كان لها أعظم الأثر في شخصيته، وكما قالوا: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فكيف إذا كان المعلم رسول الله ﷺ!

فرسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم لخص لذلك التلميذ الذي صار فيما بعد إمام الأئمة وحبر الأمة، لخص له حقيقة الحقائق وخلاصة الإيمان ألا وهي الاعتماد على الله ﷻ وترك التعلق بالبشر، مع العمل على مرضاة الله والاستعداد في الرخاء ليوم الشدة.

وفي البيت النبوي يرى ذلك التلميذ رسول الله قائما خاشعا لله رب العالمين، فيأتم به عمليا بعد أن تلقى منه ذلك نظريا، في قيامه، في ركوعه، في سجوده لله رب العالمين، ويحتك برسول الله حتى يرى جبريل مرتين يناجي رسول الله ﷺ.

وفي بيت أبيه العباس عم رسول الله ﷺ الذي هو فرع من فروع الدوحة النبوية وارفة الظلال، يستكمل تربيته على والده الصحابي الجليل فيرشده أبوه إلى خصال عظيمة من خصال الخير.

فعن عامر الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال لي أبي: يا بني أرى أمير المؤمنين يقربك ويخلو بك ويستشيرك مع

ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاثا: اتق الله، لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدا، قال عامر فقلت لابن عباس: يا أبا عباس كل واحدة خير من ألف، قال نعم ومن عشرة آلاف.[1]

سادسا - حبه للمسلمين وللناس أجمعين.

إن الإسلام دين الحب والحب من الإيمان؛ بل لا يتم الإيمان إلا بالحب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).[2]

نجد رسول الله ﷺ هنا أطلق لم يقل لأخيه المسلم بل قال لأخيه، وذلك لأن حبك للمسلم أمر مفروغ منه، أما لغير المسلم فحبك له يجعلك تدعوه للإسلام ليكون عبدا لله رب العالمين، فبمجرد إسلامه صار أخا لك في الله، وأنت ترجو لكل الناس أن يكونوا كذلك، أما البغض في الله الذي ندبنا إليه الإسلام فهو لمعصية العاصي ولكفر الكافر وليس لذات الشخص، فنحن نكره في الكافر كفره بالله ونكره في العاصي معصيته لله حال تلبسه بها ولذلك قال ذلك النبي لقومه: ﴿قَالَ

(١) - مجمع الزوائد، ٤/٢٢١.

(٢) - أخرجه الإمام البخاري، ١/١٤.

﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء ١٦٨] فهو يكره أعمالهم ولا يكره أشخاصهم ولذلك يتمنى إسلامهم وإيمانهم.

هذا أساس الدعوة إلى الله فما مدى وجود هذا الجانب عند ابن عباس؟ يقول رضي الله عنه: (لو قال لي فرعون بارك الله فيك: قلت: وفيك).[1]

وهذا من ابن عباس رضي الله عنه خرج على سبيل المثال ففرعون لا شك من أهل النار وعدو لله رب العالمين، ولكن ابن عباس قال ذلك ليبين أن كرهنا للكفار هو لأعمالهم، وليس لذواتهم حتى نستطيع دعوتهم إلى الله، وبمجرد تسليمهم لله تعالى يصيرون إخوة لنا، لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

هذا بالنسبة للكافر الذي هو عدو لله رب العالمين، أما بالنسبة للمسلم فنجد إمامنا الجليل رضي الله عنه يحب الخير لجميع الناس ولا يتمنى أن يختص دونهم بشيء، وتلك أخلاق الصديقين وكرام الناس وسائر أولياء الله الصالحين.

وهذا موقف من مواقف ابن عباس رضي الله عنه تتجلى فيه تلك الأخلاق الكريمة حيث شتمه رجل فقال له ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله

---

(١) ـ مجمع الزوائد، ١٨٢/٨، قال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

تعالى فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدا، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح به ومالي به من سائمة.

هذه الأخلاق الكريمة ضد أخلاق الحاسد الذي يتمنى زوال نعمة الله عن غيره لتكون عنده، بينما نجد ابن عباس يتمنى أن لا تكون النعمة خاصة به بل تكون عامة للناس، ولا سيما نعمة العلم وهي من أعظم النعم وكثيرا ما يحب كثير من الناس الاختصاص بها، ويفرح بالعدل وإن لم يكن خاصا به أو مستفيدا منه، وتلك أخلاق كرام الناس.

ولو أنّي حُبِيتُ الخُلْدَ فَرْداً   لَمَا أحبَبْتُ بالخُلْدِ انفِرادا
فلا هَطَلَتْ عَلَيّ ولا بأرْضي   سَحائبُ ليسَ تنْتَظِمُ البِلادا

وبسبب حبه للمسلمين رضي الله عنه كان يرى أن قضاء حوائجهم من أعظم القربات عند الله عز وجل فعن عكرمة عن ابن عباس قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعد حجة، ولطبق بدانق أهديه إلى أخ لي في الله أحب إلي من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل.(١)

---

(١) ـ صفة الصفوة، ١/٧٥٦، والدانق جزء تافه جدا يساوي قيراطين.

سابعا ـ صبره على البلاء رضي الله عنه

من سنة الله تعالى أن يختبر الناس، وأنبياءُ الله تعالى ثم أولياؤه أشد الناس بلاء في هذه الدنيا، وعلى قدر الصبر على البلاء في هذه الدنيا تكون الرفعة عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة، ومن أشد أنواع البلاء فقد الحواس وأهمها البصر الذي به يرى الإنسان النور وقد ابتلي ابن عباس رضي الله عنه بذهاب بصره في أواخر حياته، فصبر على ذلك واحتسبه عند الله، وقال:

إن يَأخُذِ اللَّهُ مِن عَينَيَّ نورَهُما ... فَفي لِساني وَقَلبي مِنهُما نورُ
قَلبٌ ذَكِيٌّ وَعَقلٌ غَيرُ ذي دَخَلٍ ... وَفي فَمي صارِمٌ كَالسَيفِ مَشهورُ

كانت تلك مكونات شخصية ترجمان القرآن، التي صار بها إماما عظيما وقدوة متبعا.

طريقته في العلم

يعد ابن عباس رضي الله عنه مدرسة متميزة في تفسير القرآن العظيم شهد له كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وأخذ عنه كبار التابعين، وها نحن نتلمس معالم تلك المدرسة العظيمة وأسسها العلمية بعد أن عرفنا المكونات الأخلاقية والتربوية في شخصية ابن عباس، ومن أهم ملامح هذه المدرسة:

أولا ـ البداية بعلوم الآلة

هناك طائفة من العلوم يحتاجها الطالب في كل علم، تعارف علماؤنا على تسميتها علوم الآلة، وهي تدخل في سائر العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وذلك لأنها كالآلة التي يستعان بها على فهم سائر العلوم، ومن أبرز علوم الآلة اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف وأدب وبلاغة وشعر وغريب لغة... إلخ

فالقرآن نزل عربيا وتكرر وصفه بذلك في آيات عديدة منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف ٢] وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل ـ١٠٣].

والاهتمام بهذا الجانب من أهم مميزات طريقة ابن عباس رضي الله عنه فعنه أنه سئل عن قوله عز وجل يوم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم ـ٤٢] قال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب.[1]

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: إذا قرأ أحدكم شيئا

---

(١) ـ أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة الملك، ج٢/ص٥٤٢.

من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فإنه ديوان العرب ، وعن عكرمة أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن من الشعر حكمة وإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه من الشعر فإنه عربي.[1]

وقد كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بهذا الجانب يحفظ أشعار العرب وأخبارها ويعتمد على ذلك في تفسيره للقرآن الكريم.

ومن الأمور المشتهرة عند المفسرين وعلماء القرآن مسائل نافع بن الأزرق ، فبينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر - وكلاهما من أئمة الخوارج - قال: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما ، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج - ٣٧] قال: العزون الحلق الرقاق ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟قال: نعم ، أما سمعت عبيد بن

(١) - أخرجه البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج١٠/ص٢٤١.

الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى   يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة - ٣٥] وابتغوا إليه الوسيلة، قال: الوسيلة الحاجة قال: وهل تعرف العرب ذلك؟قال: نعم أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة   إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

وهكذا على هذا المنوال سأله عن مسائل كثيرة في كتاب الله تعالى كلما سأله عن لفظة استشهد عليها ببيت من الشعر، والقصة طويلة لا نريد أن نطول بذكرها.

والذي يهمنا من هذا أنا إذا ما أردنا لأمتنا الإسلامية أن تنهض فلا بد من الإقبال على اللغة العربية، ولا بد من حبها وعشقها والتفاعل معها؛ لأنها المفتاح الوحيد لفهم القرآن والتفاعل معه.

فالقرآن نزل على العرب وهم أضعف الأمم، وأكثرها شتاتا فحول ضعفهم إلى قوة وشتاتهم إلى تجمع، وصاروا سادة الدنيا وما ذاك إلا أنهم فهموا عن الله مراده وعملوا بذلك فنالوا السعادة الدنيوية والأخروية.

فعلينا أن نعشق العربية ونحبب أطفالنا لها ونؤدبهم عليها منذ نعومة أظفارهم حتى يعود لهذه الأمة مجدها التليد، وحتى نصير علماء في كتاب ربنا وشريعته.

ثانيا - التكرار:

رأينا سابقا أن ابن عباس رضي الله عنه كان يسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الأمر الواحد ثلاثين مرة زيادة في الاستيثاق والتثبت، وها هو رضي الله عنه بعد أن صار إماما متبعا ومعلما للناس يعلم تلاميذه بنفس الطريقة، فهذا مجاهد بن جبر وهو من أخص تلاميذ ابن عباس ومن كبار المفسرين في عصر التابعين يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أوقفه على كل آية أسأله فيما نزلت، وكيف كانت؟

وهذا تلميذ آخر من تلاميذ ابن عباس هو شهر بن حوشب يقول: عرضت القرآن على ابن عباس سبع مرات.

فالتكرار أمر مهم ولا بد منه في طلب العلم، وقديما قال علماؤنا رحمهم الله تعالى: أن تقرأ كتابا واحدا مائة مرة خير من أن تقرأ مائة كتاب.

وذلك لأن الطريقة الإسلامية في التعلم تعتمد على الكيف

أكثر من اعتمادها على الكم، وهذا سبب مهم من أسباب إتقان العلم.

فأدم للعلم مذاكرة   فحياة العلم مذاكرته

ثالثا - مناظرة أهل الباطل لردهم إلى الحق والاعتدال والوسطية.

وصف الله تعالى الأمة المحمدية بالوسطية في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة -١٤٣] فالاعتدال والوسطية من أهم خصائص هذه الأمة وهي منهجها العام في العلم والبحث والجدل العلمي.

والإسلام يرفض التطرف والتنطع والتكلف، ولكن في كل وقت من أوقات التاريخ الإسلامي تبتلى الأمة ببعض المتطرفين، والمتطرف ضد الوسط فإذا ما شبهنا حامل الدين بمن يحمل عصا في يده فإن الوسطية تقتضي أن يحملها من الوسط حتى تتوازن ويستطيع حملها مدة طويلة، ولكن التطرف أن تميل إلى طرف وتترك الطرف الآخر.

والوسيلة العلمية للقضاء على التطرف ورد أولئك المتطرفين إلى الحق هي المناظرة العلمية، وهي وسيلة علمية تعارف

عليها علماء الإسلام ووضعوا لها قواعد علمية تضبط الجدل والنقاش حتى يكون علميا وحتى يكون مثمرا وعمليا، ولا يكون جدلا عقيما غايته الظهور والتباهي أمام الناس ، وما ذاك إلا اعتمادا على عموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل١٢٥].

وخلاصة المناظرة أن نتفق مع الخصم على قواعد ثابتة يمكن الرجوع إليها عند الاختصام، وبعد أن يسلم الخصم بتلك القواعد نحيله إلى تلك القواعد، ونفهم المختلف فيه على ضوء المتفق عليه، والغاية في ذلك كله العودة إلى المنهج الوسط المتفق مع الشرع والعقل.

وابن عباس الذي تلقى الوسطية والاعتدال في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ على الوسطية والاعتدال، وهذا يقتضي أن نتعامل مع القرآن الكريم كله كأنه آية واحدة، ونحمل كل آية ونفهمها على هدي الآيات الأخرى، فلا نتوقف عند آيات العذاب وحدها ولا نتوقف عند آيات الرحمة كذلك وحدها، ولا نركز على جانب من القرآن دون جانب.

وقد ظهر الفكر المتطرف أيام ابن عباس ممثلا بفكر الخوارج الذين يكفرون المسلمين، ويقتلون كل من يقع تحت

أيديهم، لا يفرقون بين مسلم وكافر، يختارون من آيات القرآن ما يناسب أهواءهم، ويتركون ما لا يناسب الهوى، وهذا الصنف من الناس موجود في كل وقت وكل زمان، فكيف تعامل معهم حبر الأمة وترجمان القرآن؟

ظهر الخوارج في تلك الفترة أيام نضجت ثمار ابن عباس العلمية، فقام أناس من الرعاع والأوباش يكفرون كبار أصحاب رسول الله ﷺ مثل سيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما، ويقتلون كل من لم يوافقهم من المسلمين بعد أن يحكموا عليه بالكفر والمروق والردة عن دين الإسلام، وجمعوا لذلك الجيوش، وهجموا على أهل الإسلام في كل مكان وقضّوا مضاجعهم واستباحوا حرمات المسلمين، يفعلون كل ذلك تحت شعار الإسلام وتحكيم الشريعة، ويتفانون في ذلك وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، يلقي أحدهم نفسه إلى الموت يقتل المسلمين يمنة ويسرة، فيصاب أحدهم فيقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه٨٤] طاقات بشرية تهدر في غير مجالها، وعبادة لله مستميتة على غير وجهها، واستهانة بدماء المسلمين العزيزة عند الله ورسوله، يا لها من فتنة عمياء وداهية دهياء!!

وقف ابن عباس يناظر أولئك الجفاة ليردهم إلى منهج الاعتدال والوسطية، إلى منهج رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين، ناظرهم على أساس علمي، لا يخاف في الله لومة لائم، وقف يحادثهم وهم يحملون السيوف تقطر من دماء المسلمين، وهو لا يحمل إلا لسانا صارما وقلبا ثابتا على حق معتمد على الله تعالى ثم على علم فتح الله به على قلبه...

وذلك أن الحرورية وهم طائفة من أخبث الخوارج، نسبة إلى حروراء اسم المكان الذي تجمعوا فيه، اجتمع منهم أربعة وعشرون ألفا لقتال سيدنا علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه في شدة الحر وقت الظهيرة، فطلب ابن عباس من علي رضي الله عنهما أن يؤخر الصلاة حتى يبرد الجو ريثما يجادلهم لعلهم أن يرجعوا إلى الحق واتباع الجماعة فحذره علي رضي الله عنه منهم؛ وذلك لأنهم أشرار ولا يحترمون المسلم وقد قتلوا كثيرا من المسلمين وقال: إني أتخوفهم عليك، فقال: كلا إن شاء الله، فلبس ابن عباس أحسن ثيابه، ثم دخل عليهم وهم قائلون في حر الظهيرة، فوجدهم أشد الناس عبادة أيديهم كأنها ركب الإبل من كثرة السجود، ووجوههم متغيرة من آثار السجود، فجادلهم بالحسنى وناظرهم على أساس علمي حيث ردهم في البداية إلى المتفق عليه بين الطرفين وهو كتاب الله

تعالى، وقال: جئت أحدثكم، على أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدثنه، قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على علي رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأول من آمن به وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ فذكروا مسائل أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام ٥٧] فقال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟قالوا: نعم.

فقال لهم: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء ٣٥] أنشدكم الله أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟

قالوا: اللهم في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم.

وهكذا سائر المسائل التي أنكروها على علي رضي الله عنه وسائر الصحابة رضوان الله عليهم، فأفحم ابن عباس رضي الله عنه أولئك

الخوارج، بالحجة القاطعة فرجع منهم عشرون ألفا وتابوا وأنابوا إلى الله تعالى وتراجعوا عن غيهم وضلالهم، لكن هناك من الناس من لا يريد الحق، ولعلهم هم الذين رفضوا مناظرة ابن عباس في بداية الأمر؛ وما ذاك إلا تعاليا على الحق واعتزازا بالإثم، حيث بقي منهم أربعة آلاف فقتلوا.

وهكذا كل من يتعالى على الحق والعلم، ويرفض الجدل العلمي الذي أمر الله به في سبيل الوصول إلى الحقيقة لا بد أن ينتهي إلى التطرف وحمل السلاح، فيخسر الدنيا والآخرة.

منهجه في التفسير

لقد أوتي ابن عباس رضي الله عنه علما غزيرا كما أسلفنا، وكان واثقا من علومه وذلك لأنه تلقى معظمها من المصدر الأعلى ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يقول مثلا في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف ٢٢] قال: أنا من أولئك القليل وهم سبعة.

فما هي طريقة ابن عباس رضي الله عنه العامة في التفسير؟وكيف كان يتعامل مع القرآن العظيم؟

كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه.

إذن فهذا هو منهجه العام في فهم القرآن وعنه أخذه كثير من الأئمة المجتهدين، فيبدأ بالبحث في القرآن عن تفسير المعنى المراد، فلعل ما كان غامضا في آية وضحته آية أخرى فالله سبحانه وتعالى هو أعلم بما يريد وخير تفسير القرآن ما فسره القرآن.

أما إذا لم يجد شيئا في القرآن فإنه يتحول إلى البحث في السنة الشريفة وذلك لأن القرآن أحال إلى السنة ورسول الله ﷺ كلفه ربه ببيان القرآن فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل - ٤٤].

فإذا لم يجد عن رسول الله انتقل إلى كبار أصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر وذلك لأن الأمة أجمعت على إمامتهما رضي الله عنهما ولأنهما أعلم أصحاب رسول الله ﷺ.

فإذا لم يجد اجتهد واستفرغ وسعه معتمدا على القواعد العامة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإجماع المسلمين ولغة العرب التي بها نزل القرآن العظيم، وبناء على هذا فقد قسم ابن عباس رضي الله عنه التفسير إلى أقسام.

فما هي أقسام التفسير عنده؟ وكيف قسمها؟

قام ﵁ بتقسيم التفسير على حسب درجة وضوحه إلى أربعة أقسام اعتمدها العلماء من بعده وجعلوها قاعدة أساسية في تفسير القرآن الكريم، قال ﵁:

التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.[1]

فأما الأول - فهو الذي تعرفه العرب وهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك شأن اللغة والإعراب، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها، ولا يلزم ذلك القارئ، فالقرآن جاء بلسان عربي مبين، وكثير من أحكامه لا تحتاج لأكثر من فهم الخطاب العربي، فيعرفه كل من يعرف ألفاظ اللغة وغريبها، ويمكن معرفة هذا القسم بالرجوع إلى كتب اللغة العربية من نحو وصرف ومعاجم... إلخ.

الثاني - ما لا يعذر واحد بجهله وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا لا سواه، يعلم أنه

---

(١) - تفسير القرآن العظيم، ج ١/ص٧.

مـراد الله تعـالى؛ فهـذا القـسم لا يختلـف حكمـه ولا يلتـبس تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد ﷺ -١٩] وأنه لا شريك له في إلهيته، وإن لم يعلم كيف استفاد ذلك من قواعد اللغة.

ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قولـه تعـالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة -٤٣] ونحوهـا مـن الأوامر طلب فعل ما يسمى صلاة شرعا، والتصدق بمـال في سبيل الله...وهكذا.

الثالث - ما لا يعلمه إلا الله تعـالى فهـو مـا يجـرى مجـرى الغيـوب نحـو الآي المتـضمنة قيـام الـساعة، وتفـسير الـروح والحروف المقطعة في أوائل الـسور مثـل حـم وطس وألـم..، ولا طريق إلى ذلك إلا بنص من القرآن أو بيـان مـن النبـي ﷺ أو إجماع الأمة على تفسيره فإذا لـم يـرد فيـه شـيء مـن ذلـك علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

والرابع - ما يرجع إلـى اجتهـاد العلمـاء وهـو الـذي يحتـاج إلى بحث عميـق وعلـم غزيـر، ويـسمى هـذا النـوع بالتأويـل أو الاستنباط.

كانت تلك أقسام التفسير التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنه وتابعه

العلماء بعد ذلك فكل من كتب في قواعد تفسير القرآن العظيم اعتمد على تلك القاعدة الموجزة العظيمة

نموذج من تفسير ابن عباس رضي الله عنه

إن كتب التفسير طافحة بتفاسير ابن عباس رضي الله عنه ويمكن لكل واحد أن يرجع إليها ولكنا نختار هنا مثالا يبين لنا عمق فهم هذا العالم الرباني ، وهذا أحد أسباب تقديم سيدنا عمر رضي الله عنه له واستشارته له مع كبار المهاجرين والأنصار ، وهذا النوع من التفسير يسمى التفسير الإشاري وهو يعتمد على قوة الملاحظة وصفاء النفس ، وهو فتح من الله تعالى قبل أن يكون عن اجتهاد أو بحث ، وهو ليس جديدا ولا بدعا من القول فهو داخل تحت عموم قول علي رضي الله عنه ، فعن أبي جحيفة أنه قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم .. (1)

وقد فسر به الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من غير نكير ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم ،

---

(١) ـ أخرجه البخاري ، في كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، ج١/ص٥٣ .

فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، قال ابن عباس: فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول: قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح، وذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فقال: عمر ما أعلم منها إلا ما تقول.(١)

أما ظاهر اللفظ الذي فهمه سائر الصحابة فلا غبار عليه وهو مفهوم لكل أحد، ولكن فهم ابن عباس الثاقب الذي أقره عليه عمر أنه قرأ معنى من وراء السطور، وذلك أن الآية فيها إشارة إلى أن رسالة رسول الله في هذه الأرض قد تمت فها قد نصره الله وها هو قد أرشد الناس إلى الحق وفتح الله عليه ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد تم المراد من إرساله إلى هذه الأرض، ولم يبق إلا أن يلحق بالرفيق الأعلى بعد أن أدى مهمته.

---

(١) - أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب قوله فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، ج٤/ص١٩٠١.

وفاته رضي الله عنه

توفي ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة عن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد، فلما سوي عليه سمعنا صوتا نسمع صوته ولا نرى شخصه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر- ٢٧- ٢٨- ٢٩- ٣٠].

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاة ابن عباس صفق بأحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.

ولما مات ابن عباس قال ابن الحنفية: اليوم مات رباني هذه الأمة.

وجملة ما رواه مسندا إلى رسول الله ﷺ ألف وست مئة وستون حديثا وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون وتفرد البخاري له بمئة وعشرين حديثا وتفرد مسلم بتسعة أحاديث.

كان ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعن أبيه، شجرة ممتدة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن

ربهـا ، شـجرة بـذرتها الإيمـان أثمـرت علومـا مباركـة لجميـع المسلمين وفي ظلالها يأوي أهل العلم في كل زمن وحين.

مدح الشعراء له رضي الله عنه

وها نحن نختم هذه السيرة العطرة لهـذا الـصحابي الجليـل بمدح بعض الشعراء له فهذا رثاء شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم لـه ، ذلـك الشاعر المؤيد بروح القدس حيث قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إِذا مـا ابنُ عَبّاسٍ بَـدا لَـكَ وَجـهُهُ
رَأَيـتَ لَـهُ فـي كُـلِّ أَحـوالِهِ فَـضلا
إِذا قـالَ لَـم يَتـرُك مَقـالاً لِقائِـلٍ
بِمُنتظمـاتٍ لا تَـرى بَينَهـا فَـصلا
كَفى وَشَفى ما في النُفـوسِ فَلَـم يَـدَع
لِـذي إِربَـةٍ في القَولِ جِدّاً وَلا هَـزلا
سَـموتَ إِلـى العَليـا بِغَيـرِ مَـشَـقَّةٍ
فَنِلـتَ ذُراهـا لا دَنِيّـاً وَلا وَغـلا

ولأبي الطفيل الكناني القرشي رضي الله عنه في مدح ابن عباس:

لاَ دَرَّ دَرُّ اللَيـالِي كَيـفَ تُـضحِكُنَا
مِنْهَـا خُطُـوبٌ أعَاجِيـبٌ وَتُبْكِينَـا

كُنــا نَجِــيءُ ابْــنَ عَبَّــاسٍ فَيَقْبِــسنَا

عِلْمــاً وَيُكْــسِبُنَا أجْــراً وَيهْــــدِينَا

وَلاَ يَــــزَالُ عُبَيْـــدُ اللَّـــهِ مُتْرَعَــةً

جِفَانُـــهُ مُطْعِمـــاً ضَـــيْفاً وَمِـــسْكِينَا

فَـــالبِرُّ وَالـــدِّينُ وَالـــدُّنْيَا بِـــدَارِهِمَا

نَنَـالُ مِنْهَــا الَّــذِي نَبْغِــي إذَا شِــــينَا

إن النَّبِــي هُــوَ النُّــورُ الَّــذِي كُـشِفَتْ

بِـــهِ عِمَايَـــاتُ بَاقِينَـــا وَمَاضِـــــينَا

وَرَهْطُــهُ عِــصْمَةٌ فِــي دِينِنَــا وَلَهُــمْ

فَــضْــلٌ عَلَيْنَــا وَحَــقٌّ واجِــبٌ فِينَــا

لَــنْ يُــؤْتِيَ اللهُ مَــنْ أخْــزَى بِبُغْــضِهِم

فِي الدِّينِ عِزا وَلاَ فِي الأرْضِ تَمْكِينَا

** ** **

الخاتمة

وختاما نوجه إخواننا طلاب العلم وأحبابنا الناشئة إلى التأسي بهذا الإمام العظيم في شغفه بطلب العلم وتفانيه في طلبه، وفي احترامه للعلماء وتبجيلهم وتوقيرهم، وفي الصبر على شدائد تحصيل العلم، مهما كلفنا ذلك من عناء وجهد فإن العناء يزول وتبقى الآثار الطيبة، كما نوجه إخواننا المربين إلى ضرورة توجيه الأطفال منذ نعومة أظفارهم إلى لغة العرب وتحبيب الأطفال بها فهي الوعاء الذي حمل خاتمة الرسالات السماوية وهي السبيل الأول لتعلم القرآن وتفهمه..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى من كتابته أفقر الخلق إلى ربه وأحوجهم إلى مغفرته وعفوه **عبد القادر محمد الحسين**.

في مدينة الميادين ظهيرة الأحد ١٤جمادى الآخرة الموافق ٩ تموز ٢٠٠٦م.

❊❊ ❊❊ ❊❊

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ كتب الصحاح والسنن.

٣ـ طبقات ابن سعد.

٤ ـ أسد الغابة.

٥ ـ الإصابة.

٦ ـ حلية الأولياء.

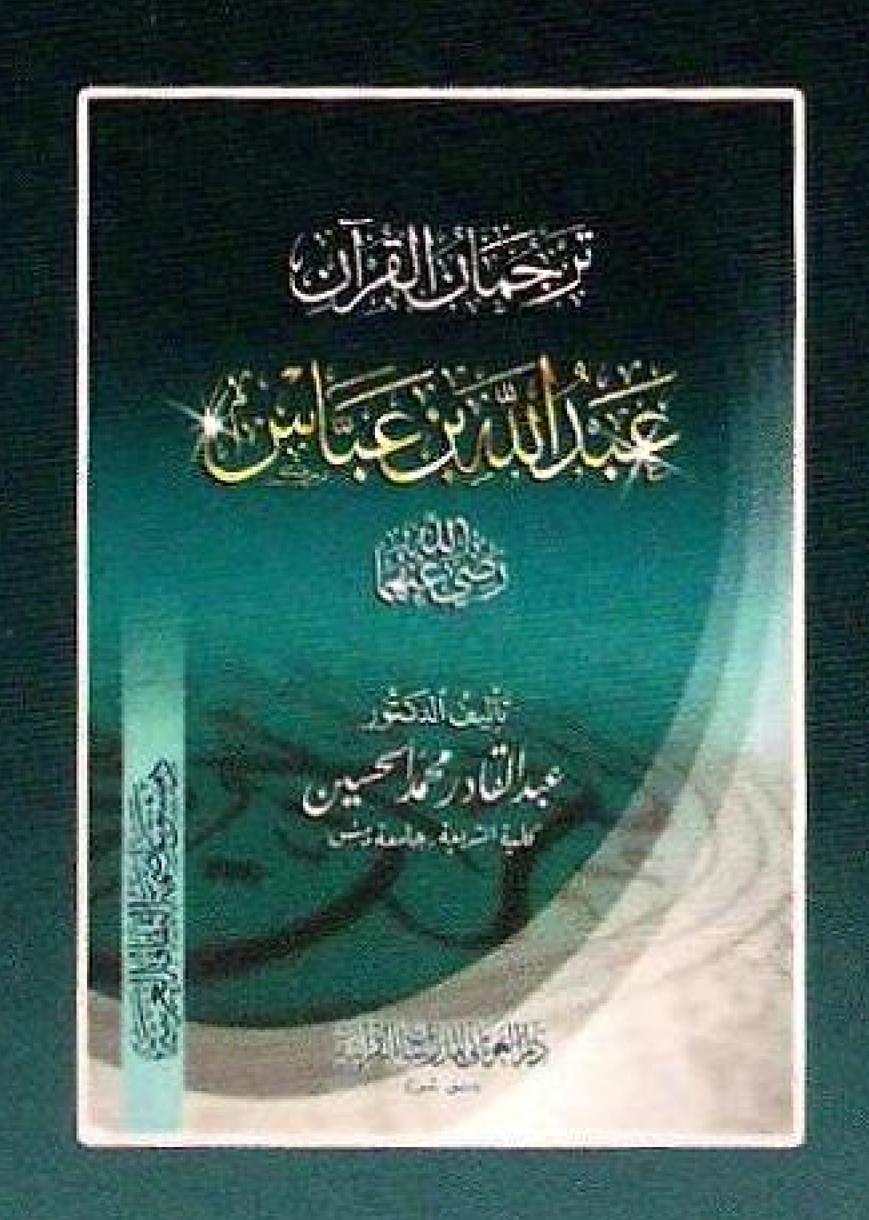
٧ ـ صفة الصفوة.

٨ ـ سير أعلام النبلاء.

٩ ـ شذرات الذهب.

الفهرس

** ** **


ترجمان القرآن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما
تأليف الدكتور
عبد القادر محمد الحسين
كلية الشريعة - جامعة دمشق



٨١٠١٢١